

الحلقة الخامسة والعشرون

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تكلمنا في اللقاءين السابقين عن مثل الملك الذي صنع عرساً لابنه. وتبين لنا أن الله يدعو كل الناس للدخول إلى ملكوت الله. وأن الإيمان بالمسيح هو الذي يهب للإنسان الغفران ويلبسه ثوب البر.

صديقي المستمع، تحصل أحداث مفاجئة مؤلمة في عالمنا، يقع ضحيتها الكثيرون. ونحن في العالم العربي اختبرنا هذا الأمر عند حصول الثورات العربية. ورأينا سقوط ضحايا بريئة كثيرة، كل ذنبها أنها كانت قريبة من موقع الحدث. ويتساءل الكثيرون ما ذنب هؤلاء حتى يقفوا ضحية لما يجري؟

أتى مرة قوم إلى المخلص يسوع المسيح وأخبروه « عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيَلَاطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خَطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لِأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هَذَا؟ كَلَّا! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أَوْلَيْكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلَّا! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ». وَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ: «كَانَتْ لَوَاحِدٍ شَجَرَةٌ تَيْنٌ مَعْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمْرًا وَلَمْ يَجِدْ. فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلَاثُ سِنِينَ أَتَى أَطْلُبُ ثَمْرًا فِي هَذِهِ التَّيْنَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اقْطَعْهَا! لِمَاذَا تَبْطُلُ الْأَرْضَ أَيْضًا؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعُ زَبِيلًا. فَإِنْ صَنَعْتَ ثَمْرًا، وَإِلَّا ففِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا» (بشارة لوقا ١٣: ١-٩).

صديقي المستمع، كما نعلم جميعاً فإن الأحداث المؤلمة التي تسقط فيها الضحايا البريئة تحصل في كل مكان وزمان. وقد تكررت في التاريخ مرات لا تُحصى ولا تُعد، ويتعرض لها كل مجتمع. وهذه الأحداث المؤلمة قد تكون حروباً أو ثورات أهلية، أو كوارث طبيعية تخلف مئات الألوف من الضحايا. وهو ما حدث في زمن المخلص المسيح أيضاً. إذ أتى البعض ليخبروه بما حصل مع الجليليين أي سكان الجليل في شمال فلسطين، عندما فتك بهم الوالي الروماني بيلاطس. ثم أخبرهم المسيح عن أولئك الذين سقط عليهم البرج في سلوام (وهي قرية قرب أورشليم) وقتلهم.

وتساءل المسيح: هل هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من باقي الجليليين حتى وقعت بهم هذه الفاجعة؟ أو أن أولئك الذين سقط عليهم البرج في سلوام كانوا مذنبين أكثر من جميع الساكنين في أورشليم؟ والجواب بالطبع كلا. وهذا ينبهنا أن لا ندين الآخرين أو نشمت بهم عندما تقع عليهم كارثة ما. ثم فاجأ المسيح سامعيه قائلاً: « بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ ». فعن أي هلاك قصد المسيح هنا؟ طبعاً الهلاك الأبدي الذي هو أهم كثيراً من موت الجسد. وأن على الإنسان أن يتوب عن خطاياها لكي ينجو من هذا الهلاك الأبدي، الذي يوقعه الله على كل الناس الأشرار.

ثم قدّم المسيح مثلاً لكي يوضح أهمية وضرورة توبة الإنسان العاجلة. فقال: أنه كان لأحدهم شجرة تين في كرمه، وأتى يطلب ثمراً منها فلم يجد، وهكذا على مدى ثلاث سنوات. وأخيراً قرر قطعها. فقال له الكرام: يا سيد أتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً، فإن لم تصنع ثمراً تقطعها. فإلى ماذا يشير هذا المثل؟ إنه يؤكد أن الله يصبر على الإنسان الخاطئ كثيراً. ويحاول أن ينبهه ويبيته على خطاياها بوسائل شتى ومرات عديدة. لكن في النهاية إن تقسّى قلب الإنسان ولم يتب، يتركه الله لكي يلقى مصيره المحتم في دينونة الهلاك الأبدي.

هل تعلم مستمعي أن الله ينبهك لكي تتوب عن خطاياك بوسائل عديدة؟ فهو يبيتك على خطاياك بواسطة روحه القدس، ويتحدث إليك من خلال كلمته المقدسة، وهو يكلمك الآن بواسطة هذا البرنامج الإذاعي، أو ربّما تحدث إليك من خلال صديق لك. وهل تعلم مستمعي أيضاً أن روح الله لا يبيتك الإنسان الخاطئ لفترة طويلة جداً أو غير محددة؟ إذ قال الله عندما أرسل الطوفان وأهلك الناس في أيام نوح: « لا يدين رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِبْدِ » (تكوين ٦: ٣). فعندما يرفض الإنسان سماع صوت روح الله مراراً وتكراراً فسيأتي يوم يتوقف فيه عن العمل.

وعليك أن لا تنسى أن لا أحد يعرف متى تكون نهايته؟ فالموت يحصد البشر صغاراً وكباراً، ولا أحد يعلم متى يأتي، وربما يأتي فجأةً وبلحظة لا نتوقعها. ولهذا تقول كلمة الله: « هوذا الآن وقت مقبول. الآن يوم خلاص » وأيضاً: « اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم » (٢كورنثوس ٦: ٢ب، عبرانيين ٣: ١٥). فعلى الإنسان عندما يسمع بشارة الخلاص المفرحة، أن يتوب عن خطاياهم ويؤمن بالمخلص المسيح، فيغفر الله ذنوبه وينجو من الهلاك الأبدي. إن الله كما ذكر المسيح في مثل شجرة التين يصبر كثيراً على الإنسان الخاطيء. لكن على الإنسان أن لا يقسّي قلبه ويجعل الوقت يفوته، وعندها لا يستطيع أن يتوب.

ولهذا كتب الرسول بطرس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: أن الله « يتأني علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة » (٢بطرس ٣: ٩ب) إن الله إذن يصبر على الجميع وهو يرغب أن الجميع يتوبون عن خطاياهم، لكي ينجوا من الهلاك الأبدي ويحصلوا على الحياة الأبدية.

وماذا عنك مستمعي؟ هل تتوب الآن عن خطاياك؟ إن الله قدّم خلاصه لك بواسطة الفادي يسوع المسيح، الذي مات من أجلك على الصليب. فهل تراك تتوب تؤمن به؟ وهكذا تتجو من الهلاك الأبدي المحتم، وتصبح من أولاد الله المبررين فتتال الحياة الأبدية.